مقاربات .... الرؤية من منظور مختلف

- إيقاعـــات الأعمـــاق!!
- بحـــــور النفـــــس!!

د. صادق السامرائي
الطب النفساني، العراق / أمريكا

إيقاعـــات الأعمـــــاق!!

في أول عهدي بممارسة الطب كان عليَّ أن أتدرب في ردهة الإنعاش \ العناية المركزة , كما تسمى , وكانت المسؤولة عنها ممرضة هندية حاذقة إسمها "فيجي" , أخذتني في جولة تعريفية بالأجهزة وما يرتسم على الشاشات من إيقاعات القلوب , وكانت تترنم بصوتها وضربات أصابعها على الطاولة لتوضح لي معاني ضربات القلب , حتى وجدتني أحسب القلب آلة موسيقية عليها أن تعزف أنغامها بإنتظام يصنع الحياة , وأي إضطراب بعزفها يناهض الحياة.

وتساءلت : هل لأعضاء الجسم الأخرى إيقاعات؟

حتى وجدتني أحسب القلب آلة موسيقية عليها أن تعزف أنغامها بإنتظام يصنع الحياة , وأي إضطراب بعزفها يناهض الحياة.
وتساءلت : هل لأعضاء الجسم الأخرى إيقاعات؟

ودرست تخطيط الدماغ وممارسته , وتخطيط العضلات , وغصت في العديد من التفاعلات الإنسجامية القائمة في أبداننا , وكأن أجسامنا , أوركسترا موسيقية تقدم معزوفاتها بألحان تصوغها وفقا لمسيرتها وتواشجها مع البيئة التي تكون فيها.

درست تخطيط الدماغ وممارسته , وتخطيط العضلات , وغصت في العديد من التفاعلات الإنسجامية القائمة في أبداننا , وكأن أجسامنا , أوركسترا موسيقية تقدم معزوفاتها بألحان تصوغها وفقا لمسيرتها وتواشجها مع البيئة التي تكون فيها

هذا التفاعل الغريب أخذني إلى القول بالكتابة على إيقاع الأعماق , وركزت على التعبير الذي كان يحسب كالمقطوعات الموسيقية , وتحول الإنسان إلى كتاب يجب معرفة أبجدياته وفك رموزه وقراءة ما يكتبه على سطور الأيام.

هذا التفاعل الغريب أخذني إلى القول بالكتابة على إيقاع الأعماق , وركزت على التعبير الذي كان يحسب كالمقطوعات الموسيقية , وتحول الإنسان إلى كتاب يجب معرفة أبجدياته وفك رموزه وقراءة ما يكتبه على سطور الأيام.

لا أدري لماذا إلتهمني كتاب البشر , ووجدتني أرى أن كل شخص يمكنه أن يأتينا بكتاب إذا تمكن من تدوين ما فيه , وما الكتب إلا مرايا مؤلفيها , وكل إبداع يمكنه أن يكون كذلك , وكل مسطور يمكن تشريحه نفسيا , ومعرفة خارطة أعماق صاحبه , فالأواني تنضح بما فيها.

ومهما قرأنا في كتاب البشر فسيبقى عصيا على الفهم والإدراك , رغم أنه مخلوق باحسن تقويم , بالمقارنة مع المخلوقات الأخرى.

"...وبدأ خلق الإنسان من طين" , وما في الطين فيه , فكيف بمكننا إدراك ما في الطين من مكونات وعناصر متفاعلات؟

لكل ما ينتج عن البشر إيقاعه , ولكل كلام إيقاع لو تأملناه وأمعنا بوعيه.

مَن يصغي لوقع الخطوات , سيكتشف أن لكل شخص إيقاع خطوات خاص به , ويمكن التعرف عليه من إيقاع خطواته!!

أعود إلى "فيجي" , تلك الممرضة الهندية التي علمتني ان البشر صندوق إيقاعات عليها أن تنسجم

مهما قرأنا في كتاب البشر فسيبقى عصيا على الفهم

ليكون حيا متفاعلا بطاقاته القصوى مع الحياة.

هل سمعتم ببحر الخطوات , فللخطوات بحورها الإيقاعية التي تحتاج منا دراسة وبحثا , فالنفس يمكن إستشرافها من نوع الخطوات التي يتوارد إلى المسامع وقعها.

كتابٌ كلُ مَخلوقٍ عَلاها ... فهلْ يقرأ لنا صُحفاً حَواها
أرانا في مَجاهلِها حَيارى ... بصَوتِ الغيْبِ مَحفوفٌ نِداها
تُعللنا بأوْهامٍ لنَبقى ... ويأكُلنا إذا مُتنا ثَراها

والإدراك , رغم أنه مخلوق بأحسن تقويم , بالمقارنة مع المخلوقات الأخرى.

مَن يصغي لوقع الخطوات , سيكتشف أن لكل شخص إيقاع خطوات خاص به , ويمكن التعرف عليه من إيقاع خطواته!!

بحـــــور النفـــــس!!

الشعر العربي موجود قبل الخليل بن أحمد الفراهيدي (100- 170) هجرية , بوقت طويل ربما يُقاس بالقرون , وما فعله الفراهيدي بناءً على ثقافته الرياضية والموسيقية , أنه صنف إيقاعاته ووضعها في قوالبها اللحنية المتداولة , فهو الذي إكتشف علم العَروض الجاري العمل به عبر الأجيال , وحوله إلى موضوع يستحق الدراسة والبحث والتدوين.

ومن الواضح أن أجهزة الكائن الحي لها إيقاعاتها المتناغمة مع بعضها لتؤلف سلوكا معبرا عن الذات المولودة من لبنات تلك الإيقاعات.

ولو نظرنا إلى تخطيط القلب , لوجدناه واحدا في جميع الأجناس البشرية , ولا أظن تخطيط قلب إنسان إنيندرتال يختلف عن تخطيط قلب أي بشر معاصر , فالإيقاعات المتآلفة في المخلوق , تصنع إيقاعا نفسيا , فالجهاز النفسي البشري له إيقاعاته المتمثلة بالبحور الشعرية.

ومنذ الأزل والبشر يترنم بأناشيده وتواشيحه , ويرتل ما تجود به قريحته في المعابد وفي المناسبات المتنوعة , أي أن النفس تفصح عن إيقاعاتها المتوائمة مع إيقاعات الأجهزة المكونة للمخلوق.

فالبحور الشعرية لسان حال النفوس , وقد يهيمن بحرٌ على شخص أو تتداخل في إبداعاته عدة بحور , وكلما تعددت أشارت لإضطراب ما , وكلما تقلصت عبرت عن توازن وإنسجام وثبات تعبيري تفاعلي.

وقد أنشد العرب أشعارهم في فترة ما على البحر الطويل , وأحيانا على الكامل , والبسيط , وفي كل عصر يهيمن بحر على الشعر , ولكل شاعر بحره المفضل الذي يجيد الكتابة عليه.

والحداثة مصطلح قديم كان العرب يسمونه "المُحدَث" وبرز شعراء في هذا الميدان ومنهم بشار بن برد , أبو نؤاس , وأبو تمام وغيرهم , وفي كل مرحلة هناك شعر "مُحدَث" , تتغير فيه المفردات , والأفكار وكيفيات تواشج الكلمات ونسيج العبارات , وحتى في الكتابات النثرية على مر العصور هناك "مُحدثات" , وبموجبها تطورت الكتابة بأنواعها.

فليس عيبا أن يكتب الشاعر على بحر واحد أو أكثر , ولكن كلما زاد عدد البحور الشعرية التي يكتب بها , تناسب ذلك مع درجة الإضطراب النفسي الفاعل فيه.

ويمكن تشخيص الحالة النفسية لأي مبدع مما يسطره ويعبر عنه بأي صيغة كانت , شعرا أو نثرا.

إن النقد النفسي لأي نص , يشرّحه ويُظهر مرتكزاته ودوافعه وما يختلج في أعماق صاحبه , وكل نص قابل للتشريح النفسي , لأنه إنسكاب تعبيري عمّا يجيش في الأعماق المُعتلجة.

الشعر العربي موجود قبل الخليل بن أحمد الفراهيدي (100- 170) هجرية , بوقت طويل ربما يُقاس بالقرون , وما فعله الفراهيدي بناءً على ثقافته الرياضية والموسيقية , أنه صنف إيقاعاته ووضعها في قوالبها اللحنية المتداولة

من الواضح أن أجهزة الكائن الحي لها إيقاعاتها المتناغمة مع بعضها لتؤلف سلوكا معبرا عن الذات المولودة من لبنات تلك الإيقاعات.

الإيقاعات المتآلفة في المخلوق , تصنع إيقاعا نفسيا , فالجهاز النفسي البشري له إيقاعاته المتمثلة بالبحور الشعرية

البحور الشعرية لسان حال النفوس , وقد يهيمن بحرٌ على شخص أو تتداخل في إبداعاته عدة بحور , وكلما تعددت أشارت لإضطراب ما , وكلما تقلصت عبرت عن توازن وإنسجام وثبات تعبيري تفاعلي

قد أنشد العرب أشعارهم في فترة ما على البحر الطويل ,

وأحيانا على الكامل , والبسيط , وفي كل عصر يسيمن بحر على الشعر , ولكل شاعر بحره المفضل الذي يجيد الكتابة عليه

ووفقا للقراءة التأريخية لإيقاع الحياة في الزمن السومري وما قبله من الحضارات القديمة , يمكن التخمين بأن إيقاعات النفس السائدة آنذاك يهيمن عليها البحر السريع (مستفعلن مستفعلن فاعلن) والبحر المتقارب (فعولن فعولن...) , وتلك رؤية نفسية مكثفة من زوايا تأملية حادة.

بحورُ الشعرِ مِن نفسٍ تهيمُ ... ومِنْ ألمٍ بأعْماقٍ يُقيمُ
تفتَّقَ جَوهرٌ وبدى أصيلاً ... كأنَّ الروحَ في نبضٍ كَظيمُ
لكلِّ مَسيرةٍ بَحْرٌ فريدٌ ... يوافقُها فيرْعاها العَظيمُ

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/DocSamarraiMuquarabetPsy12.pdf

**** ***** ****

شبكة العلوم النفسية العربية

رقيا بعلوم وطب النفس، لصحة نفسانية افضل

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2026 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار العشرون)

الشبكة تدخل عامها 26 من التأسيس و 24 على الويب

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2025

التحميل من الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2025.pdf

التحميل من المتجر الإلكتروني
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=647&controller=product&id_lang=3

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2026

التحميل من الموقع العلمي
http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf

التحميل من المتجر اللالكتروني
http://arabpsyfound.com/index.php?id_product=295&controller=product&id_lang=3

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2026

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميّز" / "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي "
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

*** *** ***

شاركونا اعمالنا على صفحاتكم للتواصل الاجتماعي....

معا يصل صوتنا ومعكم نذهب أبعد...

معا نرقى بانساننا، فترقى مجتمعاتنا فأوطاننا، فامتن